**المقال الثالث**

**الفتنة الطائفية**

**مقدمة**

ارتبط تعبير "الفتنة الطائفية" بالحقبة الساداتية أي فترة السبعينات من القرن العشرين. ولكن، لا يجب أن ننسى- على سبيل المثال- الفتنة التي نشأت في الثلاثينات من هذا القرن أيام حكم الملك فاروق.. حيث قاد الأزهر ومعه أحزاب الأقلية ومصر الفتاة والسراي والإخوان المسلمون حرباً ضد حزب الوفد. ذلك لأنهم أرادوا أن ينصبوا الملك فاروق حاكماً على مصر خلال إحتفال ديني، فيه يقلده شيخ الأزهر سيف جده الأكبر محمد علي، وبعده يؤم الملك فاروق المصلين في الأزهر كإمام للمسلمين ... جامعاً بين يديه السلطتين الزمنية والدينيه!! ولحسن الحظ، انتصرت الدولة المدنية – أثناء رئاسة النحاس باشا رئيس الوزراء - على ماكان يراد لمصر من خلط الدين بالسياسة، مما يجر البلاد إلى فتنه لا يعرف مداها إلا الله.

على أي حال، ارتبطت الفتنة الطائفية- كما ذكرنا- بعصر السادات واستمرت خلال حكم مبارك. ولا ننسى أبداً أحداث الفتنة في السبعينات والتسعينات من القرن العشرين. والرئيس السادات لم يكن بعيداً عن أفكار الإخوان المسلمين في أي وقت من الأوقات وكذلك نائبه حسين الشافعي، ولكنهما لم يكونا في جراءة كمال الدين حسين أيام حكم عبد الناصر... الذي لم يخف لحظة واحدة انحيازه المطلق للتطرف الديني.

أيضاً، الرئيس مبارك عمل- خلال حكمه- على مهادنة التيار الإسلامي وخاصة الإخوان المسلمين. كما أنه للأسف لم يسع إلى العمل على علاج أسباب الفتنة علاجاً جذرياً، بل فقط كان يعالج بعض الحوادث التي تحدث في حينها بالمسكنات.

**في الصفحات التالية، نذكر بعض حوادث العنف ضد الأقباط في حكم الرئيس السادات والرئيس مبارك:**

**بعض أحداث العنف في حكم السادات**

1. **حادثة الخانكة**

أضرم النار (مجهولون) في جمعية دار الكتاب المقدس، التي كان أهالي الخانكة يتخذونها كنيسة (بدون ترخيص). كان ذلك في عيد الفطر المبارك يوم 6نوفمبر 1972م، في حكم السادات. بعدها، وبالتحديد يوم الأحد 12 نوفمبر 1972م, اتجه حوالي 400 مسيحي بالسيارات يتقدمهم بعض رجال الدين إلى هناك للصلاة وسط أطلال الجمعية المحترقة.

في المساء، تجمع بعض الغوغاء والعامة من الشباب المسلمين واجتمعوا بمسجد السلطان الأشرف، ثم توجهوا إلى قسم الشرطة وهم يهتفوا "الله اكبر" وذلك رداً على استفزاز الأقباط لهم! وقد طلب مسئولي الشرطة منهم الانصراف فانصرفوا. ولكن أثناء سيرهم مروا على محل لقبطي، قيل أنه أطلق النار مما أدى إلى إثارتهم... فبداءوا يحرقون وينهبون محلات ومنازل الأقباط، وبعدها توجهوا إلى جمعية دار الكتاب المقدس واشعلوا النار فيها مرة أخرى.

وعلى أثر هذه الحادثة، تكونت لجنة برلمانية برئاسة وكيل المجلس د. جمال العطيفي... وعملت نهاراً وليلاً لبحث أسباب الفتنة الطائفية، وقدمت في النهاية تقريراً جيداً، فيه بعض التوصيات لحل الأزمة. ولو أن الدولة في ذلك الوقت قد اهتمت بما جاء في التقرير، ربما كانت الأمور تسير في طريقها للحل والتهدئة بين جموع المصريين. ولكن للأسف، وُضع التقرير في الأدراج واستمرت الأزمة مشتعلة وزادت الحوادث الطائفية في المجتمع. (سوف نتكلم عن هذه اللجنة لاحقاً).

1. **كنيسة العذراء بالبيطاخ- سوهاج**

أثناء الاحتفالات بظهور العذراء بالكنيسة،هاجم الغوغاء الكنيسة ومن فيها، محطمين كل شئ تقع عليه أيديهم بالإضافة إلى حملهم بعض الأواني والملابس الخاصة بالقسوس، ثم صعدوا أعلى الكنيسة ليؤذنوا. والنتيجة هلع ورعب وإصابة بعض الأقباط بجراح شديدة. والأكثر من ذلك، عدم إهتمام الأمن بالقبض على الجناة مما كان له أثراً سيئاً على المسيحيين. كان ذلك في سنة 1975م.

1. **حوادث مدينة التوفيقية**- **مركز سمالوط**

في سنة 1978م، سرت إشاعة عن شخص يدعى "وهيب"، أراد أن يشهر إسلامه ، فقام القس بنصحه. وكان أن قام الغوغاء -في منتصف الليل- بقطع جميع الإتصالات والكهرباء... ثم هجموا بيوت المسيحيين ونهبوها وكذلك نهبوا المواشي وهم يهتفون إن أموال النصارى حلال.ثم هجموا على منزل القس غبريال عبد المتجلي وضربوه ضرباً مبرحاً، مما استدعى نقله إلى المستشفى التي أهملت علاجه فمات... وقتل معه إمرأه وطفل، وجُرح عدد كبير من المسيحيين. وكالعادة لم تقبض السلطات الأمنية على أحد، وقُيدت القضية ضد مجهول!!!

1. **حوادث الطلبة بالجامعات والمدن الجامعية**

قام أعضاء الجماعات الإسلامية بأسيوط بحوادث إعتداء على الكنائس والأديره ومحلات الصاغة والطلبة بالجامعات والمدن الجامعية. كما خطفوا بعض الفتيات المسيحيات وأجبرهم على الزواج من أفراد أعضاء الجماعات!! كذلك، فصلوا الطلبة عن الطالبات بالجامعة، وفرضوا الحجاب بالقوة واعتدوا على الطلبة المسيحيين بالجامعة وطردوهم من المدن الجامعية.

1. **حادث الزاوية الحمراء**

من أسوأ حوادث الفتنة الطائفية أيام السادات، حيث كانت حصيلة القتلى من الأقباط 81 شخص!!! حسب مصادر وزارة الدارخلية. أما موضوع الحادث فهو إعلان المسلمين عن حقوقهم في قطعة أرض، كان الأقباط يعتزمون إقامة كنيسة عليها.

لمدة ثلاثة أيام، كانت هناك مجموعة من الصبية (القصر) تنتقل من مكان إلى آخر وهم يهتفون "إحرق.. دمر"، كما وضعوا علامات على بعض بيوت المسيحيين. وكانت هناك معركة مسلحة بين المسلمين والمسيحيين. وقد تعامل وزير الداخلية (النبوي إسماعيل) مع هذا الموقف بطريقة سياسية وليست بوليسية كتعبير الرئيس السادات!! حيث ترك الجميع يقتلون بعضهم البعض!!

ولأن الأمن غائب، فقد قام مثيري الفتنة والمجرمين واللصوص والغوغاء بالسلب والنهب والحرق. والذين قتلوا من الأقباط( 81 قتيلاً) عبارة عن القمص مكسيموس جرجس الذي رفض تلاوة الشهادتين فذبحوه، بالإضافة إلى حرق 20 منزلاً بمن فيه. ومع هذا، لولا بعض المسلمين الذين استضافوا وحموا بعض المسيحيين وساهموا في إطفاء الحرائق للمنازل والكنائس، لكانت الحصيلة أكبر من ذلك.

أما المتهم في هذه الحادثة فهي الدولة ممثلة في وزير داخلية السادات، الذي أراد أن يحدث فتنة في البلاد للتغطية على فشل الحكومة في المسألة الوطنية (كتاب: السادات والبابا لأنور محمد، صحفة 221). حدثت هذه الحادثة في يونية 1981م، وبعدها بأقل من ثلاثة شهور، تم إغتيال السادات على يد جماعة الجهاد.

**بعض أحداث العنف في حكم مبارك**

1. **أحداث سنورس- الفيوم**

بعد صلاة المغرب يوم 15/4/1990م، قام الغوغاء والعامة وهم يحملون أسلحة نارية بهجوم تتاري على المسيحيين؛ في البيوت والمحال والصيدليات والعيادات والسيارات... تدمير وحرق ونهب، وإصابات لأكثر من سبعة أشخاص. والسبب إشاعة بإعتداء مسيحي على طفلة مسلمة (5سنوات)... أثبت الطب الشرعي سلامتها وعدم تعرضها لأي إعتداء.

1. **أحداث منفلوط**

في نفس الشهر يوم 26/4/1990م، صباح عيد القيامة... تم قتل 6 أشخاص وجرح 50 شخص. والسبب أيضاً إشاعة عن شبكة يتزعمها نصراني يدعى ضياء لوندي، لتنصير المسلمات!!

وقد رأى أمير الجماعة الإسلامية حلاً لمثل هذه المشاكل، في وجود دولة إسلامية يحكمها خليفة للمسلمين.. الذي يوقع معاهدة مع أهل الذمة... فيها يلتزمون بعدم بناء كنائس، وعدم إظهار شعائرهم، ودفع الجزية!!

1. **دفع الجزية أو القتل**

قال الأنبا أرسانيوس مطران المنيا وأبو قرقاص إن الجماعات الإرهابية أرسلت إلى مواطن قبطي يدعى "سعيد كنز" خطاباً يوم الجمعة، تأمره بدفع 10000جنية يوم السبت وفي حالة التأخير إلى يوم الأحد يزيد المبلغ إلى 15000.. وإن كنوز الدنيا لن تنقذه من أيديهم إذا جاء يوم الأثنين ولم يدفع.

وكان أن أبلغ البابا شنودة السلطات... التي طلبت من هذا المواطن أن يسايرهم، وهم (سلطات الأمن) سوف يقبضون عليهم أثناء تسليم المبلغ.

بالطبع رفض "سعيد كنز" الرجوع إلى بلده خوفاً، وعرض جميع أملاكه للبيع، فما كان من أعضاء الجماعة الإسلامية إلا إصدار فتوى بأن من يقبل شراء أملاك القبطي فمصيره الموت.

وأضاف الأنبا أرسانيوس أن هذا الأمر قد تكرر مئات المرات، فدفع البعض ونجا بحياته ومن لم يستطع الدفع تم إصدار أمر بإعدامه.. ومن دفع ودفع وعندما لم يستجب إلى دفع المزيد بعد ذلك قُتل مثلما حدث للصيدلي المليونير "خيري الضبع" الذي قتلوه وسط عزبته بملوي.

كل هذا كان يحدث حتى أواخر سنة 1997م، وأجهزة الدولة غائبة... لذا، امتد هذا الإرهاب إلى مدن أخرى في الصعيد مثل ديروط وقنا وغيرها، وذلك منذ عام 1992م حتى عام 1997م.

وقد نشرت جريدة الأهالي تحت عنوان "الإرهابيون اعدموا 40 قبطياً رفضوا دفع الجزية" أسماء حوالي 40 شخص قُتلوا من سنة 1994م إلى سنة 1996م.

1. **ضحايا قرية صنبو** (مركز ديروط بأسيوط)

خلال ثلاثة شهور من سنة 1992م، تعرض أقباط قرية صنبو لعنف الجماعة الإسلامية. قتلوا حوالي 15 شخص وأصابوا آخرين.. بعضهم كسروا ساق ذراعه الأيمن وساقيه. كما فرضوا شروطاً على مسيحي القرية تضيق عليهم حياتهم وعبادتهم... وكذلك بعض الأتاوات، وذلك تحت سمع وبصر الشرطة... بل تواطأت الشرطة وخضعت لشروط الجماعة. ففي إحدى الاجتماعات بين زعيم الجماعة ومسئولين من الشرطة!! وضع الإرهابيون شروطاً- ضد الأقباط- حتى يقبلوا بالتهدئة، فاستجابت لهم الشرطة!!

أيضاً، استولت الشرطة على الأسلحة – ومنها ما هو مرخص- من الأقباط، وتركت الأسلحة مع الجماعة الإسلامية.

نذكر هنا بعض ما جاء في أحد تقارير المنظمة المصرية لحقوق الإنسان:

"... الدولة مسئولة عن حماية مواطنيها إزاء انتهاك حقوقهم من قِبل مواطنين آخرين، غير أنه من الملاحظ أنها لا تتحرك إلا لمواجهة ما تعتقد أنه يشكل تهديداً لها كسلطة - أو نظام حكم... وتخشى المنظمة من أن يكون مناخ التعصب الديني وضيق الأفق قد نجح في التسلل إلى بعض المواقع في أجهزة الأمن.

أما ما جرى في قرية منشية ناصر (صنبو) فهو نموذج قابل للتكرار في مدن وقرى أخرى وخاصة في صعيد مصر، وقد تلقت المنظمة معلومات غير مؤكدة بعد تشير إلى ذلك.

وتخشى المنظمة من أن تقاعس أجهزة الدولة عن القيام بواجبها قد ينشأ مبرراً لقيام المواطنين بحمل السلاح دفاعاً عن النفس وهو ما يحمل معه نذر أخطار هائلة..."

1. **أحداث الكشح الأولى والثانية**

قرية الكشح قرية كبيرة تابعة لمركز دار السلام- محافظة سوهاج. وتبدأ أحداث الكشح الأولى (15/8/1998م) بمقتل شابين مسيحيين رداً على مقتل شاب مسلم.الرواية المتداولة في القرية تقول إن القتيلين قد قتلا الشاب المسلم بالسم. والحقيقة أن بطل هذا الحدث هو وحشية الشرطة في تعاملهم مع المشتبه بهم. فقد قامت الشرطة لمدة 3 أسابيع بالقبض العشوائي على المواطنين (المسيحيين) بالقرية، ومارسوا عليهم كل أنواع التعذيب حتى يعترفوا إعترافات باطلة....سحل وضرب وتعليق وكهرباء والتهديد بالإغتصاب ومنع الطعام والدواء... الخ. وقد تم ذلك مع الرجال والنساء والأطفال، وكان التركيز على المدعو بقطر أبو اليمين ميخائيل الذي اتهموه بالقتل!! فقبضوا عليه وعلى جميع أفراد أسرته؛ زوجته وأولاده وبناته الأربعة. قال الأنبا ويصا أسقف البلينا- سوهاج:

"لم أستطع الصمت لقسوة التعذيب الذي شمل السيدات والفتيات والأطفال. لقد قام ضباط الشرطة بالقبض العشوائي على مئات الأبرياء من الكشح وتعليق الضحايا كالذبائح وصعقهم بالكهرباء وإهدار أداميتهم، كما قاموا بالإذلال والإهانة والقهر مع الإبرياء لانتزاع اعترافات باطلة".

أما **أحداث الكشح الثانية،** فاستمرت أربعة أيام هي:

الجمعة 31/12/1999م

السبت1/1/2000م

الأحد2/1/2000م

الأثنين 3/1/2م000

يوم الجمعة 31/12/1999 في ليلة رأس السنة، بدأت الأحداث بمشادة كلامية بين تاجر ومشتري. وبداية من الساعة الحادية عشر مساءً من يوم الجمعة إلى يوم السبت1/1/2000 بدأت عمليات النهب والتخريب وكسر متاجر الأقباط وحرق مساكنهم، ولم يكن هناك أي رجل أمن! بداية من يوم الأحد2/1/2000 وحتى الأثنين 3/1/2000م، بدأت عمليات القتل ... والتي وصلت إلى عشرين قتيلاً منهم أثنان تم حرق جثتيهما، وعشرات المصابين. وللأسف لم يكن هناك وجود أمني أو بالتدقيق كان هناك بعض رجال الشرطة في أماكن الأحداث يتفرجون، دون أن يتدخلوا لحماية المواطنين ( المسيحيين)!!

وفي شهر مارس2000م، حول النائب العام 135متهماً إلى محكمة جنايات أسيوط، بعضهم اشتركوا في قتل 21 شخصاً وإصابة 39... وانتظر الجميع حكم محكمة الجنايات في كل تلك الأحداث الخطيرة... وكانت المفاجأة التي أذهلت الجميع: "حكمت المحكمة ببراءة جميع المتهمين"، يحيا العدل!!

**خاتمة**

علقت مجلة الكرازة –الناطقة باسم الكنيسة الأرثوذكسية القبطية- على حكم محكمة الجنايات بقضية الكشح(2) بالآتي:

**نستأنف الحكم إلى الله وحده**

إن الله الذي قال لقايين الأول:" صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض" (تك4: 10)...

تصرخ إلى عدله الإلهي دماء عشرين قبطياً سالت على أرض الكشح في صعيد مصر. وتصرخ معها دماء أخوة لهم سالت في أبو قرقاص،وفي دير المحرق وفي ديروط وصنبو وفي التوفيقية بسمالوط وفي منشأة دملو وفي غير ذلك.. كلها تصرخ إلى عدله الإلهي... وإذا لم تجد إنصافاً على الأرض فهي تطلب الإنصاف من الله وحده وهو مصدر كل عدل...

كان الحكم الذي صدر في قضية الكشح مصدر إحباط للأقباط كلهم، وترك في نفوسهم جرحاً عميقاً وأثراً لا يمحى من ذاكرتهم على مر الزمن. لذلك هم يتجهون إلى الله الذي لم ينسى مطلقاً دماء هابيل الصديق، فهو يقيم العدل ويعطي العزاء.

**المراجع:**

1. الملل والنحل والإعراق- مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية- شركة الطباعة العربية الحديثة.
2. الأقباط ( النشأة والصراع) لملاك لوقا- مطبعة أنجيليوس.
3. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر، للراهب القمص أنطونيوس الأنطوني(الجزء الثالث)- مكتبة المحبة.
4. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر، للراهب القمص أنطونيوس الأنطوني(الجزء الرابع)- مكتبة المحبة.